أيضاً بأن يتفكر فى مقاصد المال وأنه لماذا خلق فلا يحفظ منه إلا قدر حاجته والباقى يدّخره لنفسه فى الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله . فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك فى الدنيا والآخرة هاجت رغبته فى البذل ان كان عاقلا . فاذا تحركت الشهوة فينبغى أن يجيب الخاطر الأوّل ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوّفه ويصدّه عنه »

كتاب ذم الجاه والرياء

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه . قال الله تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً ﴾ جمع بين إرادة الفساد والعلو فى الأرض وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الارادتين جميعاً وقال عزّ وجلّ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها . وفى الحديث ﴿ حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَن يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيهِ بِالأَصَابِعِ فِى دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ . إِنَّ اللهَ لَا يَنظُرُ إِلَى صُوَرِكُم وَلَكِن يَنظُرُ إِلَى قُلُوبِكُم وَأَعْمَالِكُم ﴾

وروى فى فضيلة الخمول عنه صلى الله عليه وسلم ﴿ رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذِى طِمرَيْنِ لايُؤْبَهُ لهُ لو أقسَمَ على اللهِ لأَبَرَّهُ ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ ألا أدُلُّكم على أهلِ الجَنّةِ كلُّ ضعيفٍ مُستضعَفٍ لو أقسَمَ على اللهِ لأَبَرَّهُ وأهلُ النّارِ كلُّ مُتكبّرٍ مُستكبِرٍ جَوّاظٍ ﴾ والأخبار فى مذمة الشهرة وفضيلة الخمول كثيرة . ومعلوم أن المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب . وحب الجاه منشأ كل فساد . ثم أن المذموم هو طلب الشهرة والحرص عليها فأما وجودها من الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم *

﴿ بيان الحدّ الذى يباح فيه الجاه ﴾

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها أى القدرة على التصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه . فحكم الجاه حكم ملك الأموال فانه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت والدنيا مزرعة الآخرة . فكل ماخلق فى الدنيا فيمكن أن يتزوّد منه للآخرة . فحب الجاه والمال لأجل التوسل بهما الى مهمات البدن غيرمذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لايوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدّين وهو حرام *

والقول الفصل فى طلب المنزلة والجاه فى قلوب الناس أن يقال يطلب ذلك على ثلاثة أوجه . وجهان مباحان ووجه محظور (أما الوجه المحظور) فهو أن يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوىّ أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبيس إما بالقول أو بالمعاملة *

وأما أحد المباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى ﴿ إجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ﴾ فانه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه *

(والثانى) أن يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضاً مباح لأن حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر كالذى يخفى عمن يريد استئجاره أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع . فان قوله انى ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب *

ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل اليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصاً فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى مجرى اكتساب المال بالحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض أو غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه

بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال *

* سبب حب المدح وبغض الذم *

لا يعرف طريق العلاج لذلك مالم يعرف سببه لأن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض *

لحب المدح والتذاذ القلب به أسباب (الأوّل) وهو الأقوى شعور النفس بالكمال ومهما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها (السبب الثانى) أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك الممدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ (الثالث) أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ممن يعتد بثنائه فى ملأ فيكون المدح ألذ والذم أشدّ على النفس . فأما العلة الأولى وهى استشعار الكمال ـ فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق فى قوله كما اذا مدح بأنه نسيب أو سخىّ أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذّة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وما بعدها فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد مايقوله ويعلم خلوّه عن هذه الصفة بطلت اللذّة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه فبطلت اللذّات كلها *

﴿ بيان علاج حب الجاه ﴾

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لأجلهم ولا يزال فى أقواله وأفعاله ملتفتا الى مايعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لامحالة الى التساهل فى العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب فاذن حب الجاه من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذى لأجله أحب الجاه ـ وهو كمال القدرة على قلوب الناس ـ ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات فلا ينبغي أن يترك به الدين الذى هو الحياة الأبدية التى لا انقطاع لها وأما العمل فبأن يأنس بالخمول ليسقط من نفوسهم ويستعين عليه بالأخبار الواردة فى ذم الجاه ومدح الخمول وينظر فى أحوال السلف وايثارهم ثواب الآخرة على زخرف الدنيا *

﴿ بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم ﴾

اعلم أن أكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على مايوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته . وطريقه ملاحظة الأسباب التى لأجلها يحب المدح ويكره الذم فمن الأسباب استشعار الكمال بسبب

قول المادح . فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فان كنت متصفا بها فان كانت كالثروة والجاه فهذه لاتستحق المدح فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرّياح وهذا من قلة العقل وان كانت كالعلم والورع فهذه وان استحقت المدح إلاّ أنه لا ينبغى الفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة . وان كانت الصفة التى مُدِحْتَ بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون *

ومن الأسباب . الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح وهو أيضا يرجع الى قدرة عارضة لاثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفات المدح على الممدوح عظيمة كما تقدّم فى آفات اللسان . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم مرّة لمادح ﴿ وَيْحَكَ قَصَمْتَ ظَهْرَهُ ﴾ *

﴿ بيان علاج كراهة الذم ﴾

يفهم ذلك مما تقدّم والقول الوجيز فيه أن من ذمك لايخلو من ثلاثة أحوال إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة . واما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت . واما أن يكون كاذبا . فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغى أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغى أن تتقلد منته . فان من أهدى اليك عيوبك فقد أرشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغى أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان

قدرت عليها . فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فانه غاية الجهل . وان كان قصده التمنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به لتقلع عنه وذلك من أسباب سعادتك فينبغي أن تفرح به لأن تنبهك بقوله غنيمة وجميع مساوئ الأخلاق مهلكة فى الآخرة والانسان انما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن تغتنمه . وأما قصد العدوّ التمنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك . فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرّر هو به *

(الحالة الثالثة) أن يفترى عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فينبغى ألاّ تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر فى ثلاثة أمور *

(أحدها) ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه . وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برىء عنه (والثانى) ان ذلك كفارة لبقية مساوئك وذنوبك وكل من اغتابك فقد أهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التى تقرّبك الى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله (وأما الثالث) فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرّض لعقابه الأليم فلا ينبغى أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغى أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي

اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ﴾ لما أن كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ٭

ومما يهون عليك كراهية المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك فى قلبك . وأصل الدين القناعة . وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة فى قلبه مصروفة . ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين . فلا ينبغى أن يطمع طالب الجاه ومحب المدح ومبغض الذم فى سلامة دينه فان ذلك بعيد جداً ٭

﴿ بيان ذم الرياء ﴾

وهو طلب الجاه والمنزلة بالعبادات . اعلم أن الرياء حرام . والمرائى عند الله ممقوت . وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار (أما الآيات) فقوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ قال مجاهد هم أهل الرياء . وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ فمدح المخلصين بنفى كل إرادة سوى وجه الله والرياء ضده . وقال تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله (ومن الأحاديث) قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ يقولُ اللهُ عزّ وجلّ مَن عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشرَكَ فيهِ غَيرِي فَهُوَ لهُ كُلّه

وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ﴾ قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال ﴿ الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جاز العباد بأعمالهم إذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ أدنى الرياء شرك ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدّق بيمينه فكان يخفيها عن شماله ﴾ . ولذلك ورد ﴿ إن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا ﴾ *

وروى أن المسيح عليه السلام كان يقول : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم . واذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله . واذا صلى فليرخ ستر بابه *

ومن الآثار ما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته . فقال : ياصاحب الرقبة إرفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب . ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال : أنت أنت لو كان هذا في بيتك . وقال الضحاك : لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له *

﴿ بيان حقيقة الرياء وجوامع ما يراءى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس

بايرائهم خصال الخير . والمراءى به كثير ويجمعه خمسة أقسام وهى مجامع مايتزين به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والأتباع والأشياء الخارجة فأما الرياء في الدين بالبدن فكاظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدّين غلبةَ خوف الاخرة وكتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرّغ لتسريح الشعر ومثله خفض الصوت واغارة العينين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم أو متوقر للدين أو ضعيف القوة من الجوع وعن هـذا روى (إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه) لما يخاف عليـه من نزغ الشيطان بالرياء *

وأما الرياء بالهيئة والزى فمثل تشعيث الشـعر وحلق الشارب واطراق الرأس فى المشي والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الأكمام كل ذلك يرائى به ليظهر أنه متبع للسنة ومقتد بالصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصـلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفيـة مع الافلاس من حقائق التصوّف فى الباطن ومنه التقنع فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ومنه الطيلسان يابسه من هو خال عن العلم ليوهم أنه من أهل العلم . والمراءون بالزىّ على طبقات . كل طبقة منهم يرى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى مادونه والى مافوقه وان كان مباحا بل هو عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع

عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا *

وأما الرياء بالقول فرياء أهل الدّين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لاظهار شدّة العناية بأحوال الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الأسف على مقارفة الناس المعاصى وتضعيف الصوت فى الكلام والمبادرة الى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم *

وأما الرياء بالعمل فكمراءاة المصلى بطول القيام وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات *

وأما المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين كالذى يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال أن فلانا قد زار فلانا أو عابداً من العباد ليقال أن أهل الدّين يتبرّكون بزيارته ويتردّدون اليه أو أميراً من الأمراء ليقال انهم يتبركون به وكالذى يكثر ذكر الشيوخ وطواف البلاد ليتباهى عند خصمه فهذه مجامع مايراءى به المراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة فى قلوب العباد لاعتقاده أنه نوع قدرة وكمال فى الحال وان كان سريع الزّوال لايغتر به إلاّ الجهال ولكن أكثر الناس جهال *

ومن المرائين من لايقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت ومنهم من يريد الاشتهار عند الأمراء لتقبل شفاعته فيقوم له جاه عند العامة ومنهم من يقصد

التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو كان من الحرام وهؤلاء شرّ طبقات المرائين *

﴿ حكم الرياء ﴾

إعلم أن الرّياء إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فأما المراءاة بما ليس من العبادات فقد تكون مباحة كتسوية العمامة والشعر وتحسين الثوب لئلا تزدريه أعين الناس واحترازا من ألم المذمة وطلبا لراحة الأنس بالاخوان وقد تكون طاعة كما اذا كان متبوعا وعمله المذكور يرغّب فى اتباعه واستمالة القلوب اليه وقد تكون مذمومة كما إذا حملت على ما لايجوز أو دعت الى أمور محظورات وبالجملة فحكمها تابع للغرض المطلوب بها . وأما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فالمرائى فيها يبطل عبادته ويعصى ويأثم والمعنى فيه أمران (أحدهما) يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لأنه خيل اليهم أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك *

(الثانى) يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله كما ورد ومثاله أن يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواريه أو غلام من غلمانه فان هـذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب اليه بخدمته بل قصد بذلك عبداً من عبيده . فأى استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لايملك له ضرا ولا نفعا . وهل ذلك إلاّ لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرّب اليه من

الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأيّ استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر ولو لم يكن فى الرّياء إلاّ أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله وعن هذا كان شركا خفيا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلاّ من خدعه الشيطان وأوهم عنده ان العباد يملكون من مصالح حاله أكثر مما يملكه الله تعالى مع أن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لها ضرا ولا نفعاً فكيف يملكون لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم ﴿ لا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ولا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً ﴾ بل تقول الأنبياء فيه نفسى نفسى . فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس . فلا ينبغى أن نشك فى أن المرائى بطاعة الله فى سخط الله تعالى *

﴿ درجات الرياء ﴾

اعلم أن أغلظ أنواع الرياء هو الرياء بأصل الايمان وصاحبه مخلّد فى النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب وهذا هو النفاق المذكور فى القرآن الكريم فى مواضع شتى وذلك مما يقل في زماننا. ويلحق به من يجحد الجنة والنار والدار الآخرة أو يعتقد طىّ بساط الشرع والأحكام ميلا الى أهل الاباحة أو يعتقد كفراً وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار *

وقسم من الرياء دون الأوّل بكثير كمن يحضر الجمعة أو الصلاة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبرّ والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس أو يزكي أو يحج كذلك فيكون خوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت *

وقسم يرائي بالنوافل يكسل عنها في الخلوة ثم يبعثه الرياء على فعلها كحضور الجماعة وعيادة المريض واتباع الجنازة وصوم عرفة وعاشوراء خوفا من المذمة وطلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض وهذا أيضاً عظيم ولكن دون ماقبله *

وقسم يرائي بفعل مافي تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطوّل القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين . وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرّديء فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته . وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا اكمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة . فهذا أيضاً من الرّياء المحظور لأن فيه تقديما للمخلوقين على الخالق فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لاسنتهم عن الغيبة فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدّين لكان شفقتك على نفسك أكثر *

وقسم يرائي بفعل مالا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة

لعبادته كالتطويل فى الركوع والسجود ومدّ القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة فى القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة فى صوم رمضان وطول الصمت مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه *

وقسم يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضاً كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأوّل وتوجهه الى يمين الامام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقف ومتى يحرم بالصلاة *

فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يراءي به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم *

﴿ بيان المراءى لاجله ﴾

اعلم أن المرائى مقصودا لامحالة وانما يراءى لادراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض وله درجات (أشدها) أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يراءى بعباداته ويظهر التقوى والورع وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى منصباً أو يسلم اليه تفرقة مال ليستأثر بما قدر عليه منه أو يودع الودائع فيأخذها أو يتوصل الى التحبب بامرأة لفجور ونحوه أو يحضر مجالس العلم والتذكير وقصده النظر لامرد فهؤلاء أبغض المرائين الى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته ويقرب منهم من يقترف جريمة وهو مصرّ عليها فيظهر التقوى لينفى التهمة عن نفسه *

(ثانيها) أن يكون غرضه نيل حظ من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذى يظهر العلم والعبادة ليرغب فى تزويجه أواعطائه فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول

(الثالثة) أن لا يقصد نيل حظ وادراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر اليه بعين النقص ولا بدّ من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذى يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار . وكذلك يسبق الى الضحك أو يبدو منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ماأعظم غفلة الآدمى عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان فى خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير (وكالذى) يرى جماعة يصلون التراويح ويتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لايفعل شيئا من ذلك (وكالذى) يعطش يوم عرفة أو عاشوراء فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس انه غير صائم أو يدعى الى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لايصرح بأنى صائم ولكن يقول لى عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا

بأن يتعلل بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان لانه محب للاخوان شديد الرغبة فى أن يأكل الانسان من طعامه وقد ألحّ علىّ اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل أن يقول ان أبوىّ أو أحدهما يشفقان علىّ يظنان ان لو صمت لمرضت فلا يدعانى أصوم فهذا وما يجرى مجراه من آفات الرياء فلا يسبق الى الانسان الا لرسوخ عرق الرياء فى الباطن (أما المخلص) فانه لايبالى كيف نظر الخلق اليه . فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيرُه ما يخالف علم الله فيكون ملبسا . وان كان له رغبة فى الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره . وقد يخطر له أن فى اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه . وفيه مكيدة وغرور فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين . وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهومن أشدّ المهلكات *

﴿ بيان الرياء الخفى الذى هو أخفى من دبيب النمل ﴾

اعلم أن الرياء جلىّ وخفىّ فالجلىّ هو الذى يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب . وهو أجلاه . وأخفى منه قليلا هو ما لايحمل على العمل بمجرده إلاّ أنه يخفف العمل الذى يريد به وجه الله كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشّط له وخف عليه . وأخفى من ذلك مالايؤثر فى العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضاً ولكنه مع ذلك مستبطن فى القلب . وأجلى علاماته أن يسرّ باطلاع الناس على طاعته فربّ عبد يخلص فى عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل

كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سرّه ذلك وارتاح له وروّح ذلك عن قلبه شدّة العبادة . وهذا السرور يدل على رياء خفيّ منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس ماظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنّاً فى القلب استكنان النار فى الحجر . فأظهر منه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور . ثم إذا استشعر لذّة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفيّ من الرياء حتى يتحرّك على نفسه حركةً خفيةً فيتقاضى تقاضياً خفياً أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتمريض أو بالشمائل كخفض الصوت وآثار الدموع وأخفى من ذلك أن يختفى بحيث لايريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا فى قضاء حوائجه وأن يسامحوه فى البيع والشراء وأن يوسعوا له فى المكان فان قصّر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعاداً فى نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التى أخفاها ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فى كل مايتعلق بالخلق لم يكن خاليا عن شوب خفيّ من الرياء أخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلاّ الصدّيقون *

ولم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون فى اخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله فى يوم القيامة باخلاصهم إذ علموا أن الله لا يقبل فى القيامة إلا الخالص وعلموا شدّة حاجتهم وفاقتهم فى القيامة وأنه يوم لاينفع فيه مال ولا

بنون ولا يجزى والد عن ولده *

فإذاً شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فلو كان مخلصا لما بالى بالناس لعلمه أنهم لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب *

فان قلت فما نرى أحداً ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود و بعضه مذموم * فنقول السرور منقسم الى محمود ومذموم فالمحمود مثل أن يكون قصده إخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به والطافه به إذ لا لطف أعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة فى قلوبهم وقد قال تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ *

ومثل أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر وأجر السرّ بما قصده أوّلاً ومن اقتدى به فى طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شئ وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور *

ومثل أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص فى هذا الورع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه

بحمدهم إيّاه . وأما السرور المذموم فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته فى قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام فهذا مكروه *

﴿ بيان مايحبط العمل من الرياء وما لايحبط ﴾

إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إمّا أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرّد بالظهور من غير إظهار فهذا لايفسد العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرّياء إلاّ إذا ظهرت له بعده رغبة فى الاظهار فتحدّث به وأظهره فهذا مخوف وفى الآثار والأخبار مايدل على أنه محبط وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من العمل وكان عقد على الاخلاص فان كان مجرد سرور فلا يؤثر فى العمل وان كان رياء باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره لأن الواجب عليه أداء عمل خالص لوجه الله والخالص مالا يشوبه شئ فلا يكون مؤدّيا للواجب مع هذا الثوب . وأمّا الرياء الذى يقارن حال العقد كان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان استمرّ عليه حتى سلم فلا خلاف فى أنه يقضى ولا يعتدّ بصلاته . وان ندم عليه فى أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فالأرجح أنه لاتنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف لأن باعثه الرياء فى ابتداء العقد دون امتثال الأمر فلم ينعقد افتتاحه فلم يصح مابعده *

﴿ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه ﴾

عرفت مما سبق أن الرياء محبط الأعمال وسبب المقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجدّ في إزالته *

وفي علاجه مقامان (أحدهما) قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه (والثاني) دفع مايخطر منه في الحال *

﴿ المقام الاول في قلع عروقه وأصوله ﴾

وأصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة أصول وهي حب لذّة المحمدة . والفرار من ألم الذّم . والطمع فيما في أيدي الناس . فهذه الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء . وعلاجه أن يعلم مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى وما يتعرّض له من العقاب والمقت الشديد والخزي الظاهر . فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل مايحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الاخرة وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال فانه يسهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سمًّا أعرض عنه . ثم أي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع

والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلاّ الله ومن طمع فى الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ماعند الله برجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطئ واذا أصاب فلا تفى لذته بألم منته ومذلته وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيأ مالم يكتبه الله عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار ان كان من أهل الجنة ولا يبغضه إلى الله ان كان محمودا عند الله فالعباد كلهم عجزة لايملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فاذا قرّر فى قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه والعاقل لايرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه . فهذا من الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء وأما الدواء العملى فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات واغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش فلا تنازعه نفسه الى طلب علم غير الله به *

﴿ المقام الثاني فى دفع العارض منه أثناء العبادة ﴾

وذلك لابد أيضاً من تعلمه فان من جاهد نفسه بقلع مغارس الرياء وقطع الطمع واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فقد لايتركه الشيطان فى أثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء . فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق دفع ذلك بأن قال مالكَ وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأى فائدة فى علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد ذكر مارسخ فى قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت الالهى وخسرانه الأخروى *

﴿ بيان الرخصة فى قصد اظهار الطاعات ﴾

إعلم أن فى أسرار الأعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفى الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس فى الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن أن السر أحرز العملين ولكن فى الاظهار أيضاً فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السرّ والعلانية . فقال ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ والاظهار قسمان :

(أحدهما) في نفس العمل . والآخر بالتحدّث بما عمل (القسم الأوّل) اظهار نفس العمل كالصدقة فى الملأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصارى الذى جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه . فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنِ اتَّبَعَهُ ﴾ وتجرى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء فى الصدقة على الطباع أغلب . فالسر أفضل من علانية لاقدوة فيها . أما العلانية للقدوة فأفضل من السرّ ويدل على ذلك أن الله عزّ وجلّ أمر الأنبياء باظهار العمل للاقتداء وقوله عليه السلام ﴿ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا ﴾ ولكن على من يظهر العمل وظيفتان :

(احداهما) أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ظناً وربّ رجل يقتدى به أهله دون جيرانه . وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق . وربما يقتدى به أهل محلته . وانما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة . فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء

والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة . وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة على من هو فى محل الاقتداء به

(الثانية) أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حبّ الرياء الخفىّ فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل و بكونه مقتدى به . فليحذر العبد خدع النفس . فان النفس خدوع . والشيطان مترصد . وحب الجاه على القلب غالب . وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات . فلاينبغى أن يعدل بالسلامة شيأ . والسلامة فى الاخفاء . وفى الاظهار من الاخطار مالايقوى عليه أمثالنا . فالحذر من الاظهار أولى بنا و بجميع الضعفاء *

(القسم الثانى) أن يتحدّث بما فعله بعد الفراغ . وحكمه حكم اظهار العمل نفسه . والخطر فى هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذّة فى إظهار الدّعاوى عظيمة إلاّ أنه لو تطرّق اليه الرياء لم يؤثر فى إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون . والحكم فيه أن من قوى قلبه . وتمّ اخلاصه . وصغر الناس فى عينه . واستوى عنده مدحهم وذمهم . وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به . والرغبة فى الخير بسببه . فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات . لأنه ترغيب فى الخير . والترغيب فى الخير خير . وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء *

﴿ بيان الخطأ فى ترك الطاعات خوفا من الرياء ﴾

من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائياً به وذلك غلط

وموافقة للشيطان وجر الى البطالة وترك للخير فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله إذا دعتك نفسك الى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك بل ان قدرت على أن تزيد فى العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف فى قلبك من كراهية الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى . وان لم يبق باعث دينى بل تجرّد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك *

﴿ بيان ما على المريد قبل العمل وبعده وفيه ﴾

اعلم أن أولى مايلزم المريدُ قلبَه فى سائر أوقاته القناعة بعلم الله فى جميع طاعاته . ولا يقنع بعلم الله إلا من لايخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله . فأمامن خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله فان كان فى هذه الرتبة فليلزم قلبَه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت واحباط العمل . وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة فان النفس تكاد تفلى حرصا على الافشاء فينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر فى مقابلة عظم عمله ملك الآخرة ونعيم الجنة أبد الآباد وعظم غضب الله على من طلب بطاعته ثوابا من عباده . ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لايظهره ولا يتحدث به . واذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفاً أنه ربما داخله من الرياء الخفى مالم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوّزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية مامقته بها وردّ عمله بسببها ويكون هذا

الشك والخوف في دوام عمله و بعده وأما في الابتداء فيكون متيقنا أنه مخلص مايريد بعمله الا الله حتى يصح عمله وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه »

والذي يتقرّب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الأجر . فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه أو تردداً منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره . نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد إلاّ الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو أن لايحبط ذلك أجره اذا كان لايريده ولا يستبعده منه لو قطعه ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله ويتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لاليكون له في قلبه منزلة ولا في قلب الخلق فان العباد أمروا ألا يعبدوا إلاّ الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره »

وأما المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يُخْطِرَ بقلبه معرفةَ الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري أنه المخفف للعمل عليه . فاستشعار النفس عزّ العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة فينبغي أن يلزم

نفسه الحذر منه . وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم به لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلاّ كراهة ضعيفة إن وجدها فى قلبه فيردّها فى الحال بعقله وايمانه ولو كان فى عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يدخله سرور بسبب اطلاعهم عليه . ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنىٌّ والآخر فقيرٌ فلا يجد عند اقبال الغنىّ زيادة هزّة في نفسه لاكرامه إلاّ إذا كان فى الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرماً له بذلك الوصف لا بالغنى . فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مراء أو طماع *

ومكايد النفس وخفاياها فى هذا الفن لاتنحصر ولا ينجيك منها إلاّ أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتتجرّد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغّصة فى أيّام متقاربة *

كتاب ذم الكبر والعجب

﴿ ماورد فى ذم الكبر ﴾

قال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ *